بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 63 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:12\12\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

وصل الكلام إلى المقطع الثاني في الآية وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾.

في هذا المقطع يمكن أن نقف عند محطات:

المحطة الأولى: المعنى الإجمالي لهذا المقطع

كل ما قيل في المقطع السابق في مرجع الضمير يقال هنا، مَن الذي تزين، هل هم الأبرار أو هم الولدان المخلدون؟ وما اخترناه هناك نختاره هنا.

ولا شك أن المعنى الإجمالي لهذا المقطع في غاية الوضوح مع قطع النظر عن الذي تزين، مهما كان فهناك جماعة تزينوا بالأساور المصنوعة من الفضة.

المحطة الثانية: مفردة الأساور

في عرفنا الحالي لا أحد يتردد فيها، أما قديماً وقفوا عند هذه الكلمة. المعروف عند الكثير أن هذه الكلمة بالأصل هي كلمة فارسية، وليست عربية. فنلاحظ الراغب يقول: "هو معرب دستواره" دست يعني اليد، فالكلمة معناها الذي يوضع في اليد، فعربت دستواره فصارت أساور.

ابن فارس في معجم مقاييس اللغة، يقول: "سَوَرَ، السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع، ومن ذلك سار يسور إذا غضب وثار، وإن لغضبه لسورة [يعني ثورة، إلى أن يقول] وأما سِوار المرأة والإسوار من أساورة الفرس وهم القادة، فأراهما غير عربيين".

فهذه الكلمة غير عربية.

من هنا نقف عند قضية كلية، وهو أنه هل يمكن أن يكون في القرآن الكريم لفظة غير عربية أم لا؟

هذا الأمر وقع الكلام فيه منذ القديم، وهذه شبهة تطرح الآن، وهي أن القرآن الكريم في أكثر من آية يثبت بأنه عربي، بل في بعض الآيات عربي مبين، فمع كونه عربياً مبيناً كيف نجوز لأنفسنا أن نقول بعض الكلمات في القرآن الكريم ليست عربية.

قد تناقش في هذه الصغرى، أي في اللفظة التي نبحث عنها، وهي أساور، وتثبت أنها عربية، لكن لا ينقطع البحث؛ لأن هناك كلمات أخرى كالقسطاس والإستبرق والميزان الكتابة حيث هناك جماعة يذهبون إلى أنها غير عربية.

وهناك كتب أُلفت في الكلمات غير العربية في القرآن الكريم منذ القديم، السيوطي في الإتقان خصص فصلاً كاملاً لتعداد الكلمات غير عربية، والبعض أوصلها في التعداد إلى ما يصل إلى مئتين كلمة. إذاً الكلام ليس في خصوص هذه الكلمة.

بل نرى ان هذه المسألة قد طرحت في عصر الصحابة، فتعرض لهذا المطلب ابن عباس، سعيد بن جبير وجماعة آخرون من الصحابة. ووقع الاختلاف أنه هل يجوز ذلك أو لا؟

جماعة كثيرة جمدوا على النص القرآني، وحشدوا الآيات الكثيرة تقتضي أن يكون القرآن بتمامه عربياً، قد يقع النقاش في بعض تلك الآيات، فالآيات التي لا يوجد فيها التصريح بالعربية، وإنما بلسان قومه، فقد يناقش أن لسان القوم ليس المقصود منه خصوص العربية.

المقدمة الأولى: هي الآيات دلت على أن القرآن بتمامه لابد أن يكون عربياً.

المقدمة الثانية: أن وجود لفظة غير عربية في القرآن الكريم تخالف تلك الآيات الشريفة. ولعل الأكثر من علماء التفسير القدماء ذهبوا إلى هذا المبنى.

جماعة آخرون قالوا بالجواز، وأكبر دليل على الجواز هو الوقوع. هناك في القرآن الكريم كلمات فارسية، هندية، والأكثر ربما كلمات آرامية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية، وكلمات يونانية وعبرية وما شابه ذلك.

هؤلاء الذين يقولون بالوقوع لابد أن يدفعوا إشكالية الآيات التي تدل على أنه قرآن عربي؛ لأن تلك الآيات لو شكلت دليلاً قطعياً فلا بد أن لا نسلم بوجود كلمة غير عربية. وإذا تلك الآيات ظاهرها ذلك فالظاهر قابل للتأويل، فيمكن إذا ثبت لدينا الوقوع أن نقول ليس المقصود بالعربية تمام كل كلمة وكل حرف فيه لابد أن يكون عربياً.

إذاً هذا النزاع نزاع معروف ومشهور بين القوم.

أرباب القول الأول نظروا إلى تلك الألفاظ التي ادعي أنها ليست عربية، علقوا عليها أنها من باب توارد اللغات، فاللغات جاءت نتيجة حالة اجتماعية في التفهيم والتفهم وبيان المقاصد، ولا محذور في أن يتصادف كلمة مشتركة بين لغتين مع كثرة اللغات.

فهذه الكلمات التي تدعون أنها ليست عربية في القرآن الكريم؛ لوجودها في لغات أخرى، فهذا لا يدل على أنها ليست عربية. بل هذا من باب توارد اللغات. كما أن المشترك في اللغة الواحدة موجود فالمشترك بين اللغات المتعددة أيضاً موجود.

فواردت اليهودية والعربية على كون كلمة الصلاة هي اسم للعبادة المخصوصة، غاية الأمر في العربية يقولون الصلاة، وفي العبرية يقولون صَلُوتْ. هذا ليس بأكثر من الخلاف بين قبيلة حمير وقبيلة هذيل؛ أنه يجوز الإشمام أو لا يجوز الإشمام. فلا دليل على وجودها.

هذا الجواب بالنسبة نحن المُولَدين والمستعربين ممكن، أما عند العربي الأصيل كامرئ القيس- كمثال وإلا هو قبل نزول القرآن الكريم- يقول هذه الكلمة ليست عربية، هذه الكلمة دخيلة في لغتنا، فحينئذ لا نستطيع أن نرد على امرئ القيس أن هذا من باب توارد اللغات.

في عصر نزول القرآن الكريم هناك جملة معتد بها من أكابر الصحابة يرون بعض الكلمات غير عربية وهم عرب أصيلين، فحينئذ لا نستطيع أن نصغي إلى ابن جرير الطبري في القرن الرابع إلى أن هذا من باب توارد اللغات. فعندما يقول ابن عباس هذه ليست موجودة في لغة العرب فلا يكفي بالرد عليه أن هذا من باب توارد، فما الدليل على أنه من باب توارد اللغات؟

في توارد اللغات تحتاج إلى إثبات أن هذه الكلمة من لغة العرب، فنستنتج حينئذ أنه توارد لفظ واحد في لغتين. أما إذا لم نثبت بأنها عربية فكيف نقول إنها من باب توارد اللغات.

فإذاً هناك جملة من الصحابة كابن عباس وسعيد بن جبير نقلوا أن بعض الكلمات في القرآن الكريم ليست عربية. ومن علماء البيان ومن علماء الأدب التزموا بذلك وألفوا كتباً في ذلك، وجاءوا بشواهد عن العرب في ذلك.

فيبقى، ماذا نفعل بتلك الآيات التي نصت صراحة على أن هذا القرآن بلسان عربي مبين؟

لابد أن نقف حينئذ على المراد من تلك الآيات التي وصفت القرآن بكونه عربياً وبكونه بلسان عربي مبين.